

شبكة الألوكة / آفاق الشريعة / مقالات شرعية / خواطر إيمانية ودعوية



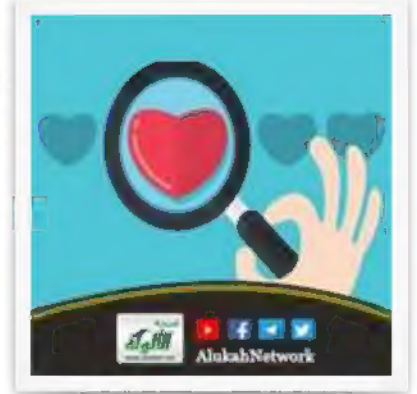
## لقلوب الرقيقة "خواطر وتأملات إيمانية"

أم محمد عياضي

مقالات متعلقة

تاريخ الإضافة: 26/9/2023 ميلادي - 11/3/1445 هجري

الزيارات: 1978



لقلوب الرقيقة

"خواطر وتأملات إيمانية"

إذا قَسَمَ القلوب، وجَفَّت المآقي، واخشوشنت الألسنة، وغَلُظَت الطِّبَاع، فابحث عن حالِك في القرب من الله، وتعوَّذ من الهجران؛ ففي قُرْبِهِ شفافية للروح، ونفحة للقلب، ونور للفكر.

اللهم لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك، وعظيم سلطانك، لك الحمد أن حَبَّبْتَ إلينا الإيمان، وزَيَّنْتَ في قلوبنا، لك الحمد لأنك القيَّوم على قلوبنا وعبودنا، لك الحمد لأنك تعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، فلا نحتاج للغة باهرة، ولا لفصاحة بالغة كي نخبرك، ونشرح لك، ونوضح، ونفصِّل ما في قلوبنا، أنت أقرب من قلوبنا منا، أنت صانعها وعالمها وخبير بها؛ فامْنُنْ علينا ألاَّ تخفِقَ بحبِّ إلا لك، وبك، ومنك، وإليك، لا تُسرُّ إلا بما تُحب، ولا تحزن إلا لما تكره، يا الله رَقِّقْ قلوبنا لتخضع بذكرك، رَقِّقْها لتتَعَمَّ بحبِّك، رَقِّقْها حتى لا طاقة لها في البعد عنك، فلا تأْس إلا بقربك، ولا تسعد إلا بوصلتك، ولا تسكن إلا برضائك عنها يا رب العالمين، اللهم إنك من رزقته رَقَّة القلب، فقد رزقته نعيم الدنيا والآخرة، فيا مَنْ تُحوِّل بين المرء وقلبه، خُلِّ بيننا وبين مُلهِيَّات القلوب عنك، ويا مَنْ تُثَبِّت القلوب تُثَبِّت قلوبنا على مرضاتك، اللهم آمين.

لقلوب الرقيقة:

من منا ليس له قلب؟ كل الناس لها قلوب، وهل يعيش من ليس له قلب؟ وهل يكفي أن يكون الإنسان له قلب حتى يعيش، أم لا بد لهذا القلب من شرط السعادة ليعيش مولاه حياته؟ وهل يخطب الإنسان أي حياة؟ كلا فشتان بين حياة وحياة، وقد نتساءل: هل القلب مولى صاحبه، أم أن صاحبه هو مولاه؟ ومن منهما عليه إسعاد الثاني؟

ما أشقى القلب وصاحبه إن لم يتبَصَّر الاثنان سُبُل السعادة، وأخفقا في الوصول إليها، وهيهات أن يقدِّر أحدٌ على النَّيل من صاحب القلب المطمئن السعيد المشروح، حتى يقول: "ما يصنع أعدائي بي؟ أنا جنّتي وبستاني في صدري، إن رُحْتُ فهي معي لا تفارقتي"؛ [ابن تيمية].

هذا العضو الصغير الحجم، العظيم الشأن، الواسع الإدراك - هو سر صاحبه، ولا يستطيع أي إنسان وكيفما كانت مكانته عظيمة في القلب، ومهما استقر وسكن في سويدانه - أن يطلِّع أو يكتشف سرَّ قلب سكنه، أو شُغف به، أو يكون له سلطان عليه، فيقلِّبه كيف يشاء، ومتى شاء، ولمن شاء، إلا خالق القلب ومالك القلب؛ ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾ [الأنفال: 24]، وكأنني بالشاعر يناجي ربه فيقول: (إن قلت خُذْ القلب يقل لي عجبني، القلب لنا فهات من عندك شيء)، ذلك هو القلب الذي لا يبصر خَلْجَاتِهِ إلا الله، ((والتقوى ها هنا))؛ إشارة إلى القلب، فسبحان اللطيف! وضع السر بيننا وبينه في ألطف ما نملك؛ وهو القلب، فمن أقرب للقلب من محبي القلب؟ ومن أقرب للحب غير مالك موضع الحب، وصانع الحب، بل هو من سبقنا إليه في الحب؛ ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: 54]؟

هو الله، هو الله، وهل للروح إله؟ قريب ليس يتركني إذا ما قلت: أوَاه.

أو بعد هذا لا يرف القلب، ولا يرق ولا يحن، ولا يحب ولا يتشقق، ولا ينشق ولا ينهمل بالرحمة والود والعيق، ويتدفق، فأين أنت يا رقيق القلب؟

يا أيها القلب العميق حينه قد حار في قساة القلب المنطق

فبُشراك يا رقيق القلب، فموعدك الجنة، يا هين لين: ((ألا أخبركم بمن يحرم على النار، وبمن تحرّم عليه النار؟ على كل قريب هين سهل))؛ [رواه الترمذي].

وأبشِر يا رقيق القلب رقيقه بنيل مرادك وعدًا من الله لك: ((إن الله رقيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف، وما لا يعطي على سواه))؛ [رواه مسلم].

أبشِر يا رقيق القلب ورحيمه برحمات الله التي ستتنزل عليك؛ ((الراحمون يرحمهم الرحمن تبارك وتعالى))؛ [رواه أبو داود].

أين أنت يا رقيق القلب؟ هل أجذك بين هؤلاء؟ غد للوراء قليلاً، تذكر معي جيداً، ذات يوم في الماضي البعيد وربما القريب جداً، كنت وحدك، أجل، لا أحد يرفبك إلا الرقيق سبحانه، وحدث أن تأملت في أي شيء فشعرت بضعفك وبقدرة الله عليك، أو نظرت إلى أي شيء فتذكرت قدرة الصانع البارِع، أو حتى مرّ في خاطرك خاطرٌ من ذنب فتحسرت وتألمت، أو خاطر من خبيثة صنعته لوجه الله خالصة، ولم تُحدّث بها بشراً، أجل، تذكرت شيئاً من هذا أو ذاك أو تذكرت أمراً آخر، لكن في كل الحالات، ذكرت الله في خلوتك تلك، خائفاً أو خاشعاً أو وجلاً، فدمعت عيناك من خشية الله، إن حدث ذلك، إذا أنت منهم، فيا بُشراك؛ فأنت من السبعة الذين يظلمهم الله في ظله يوم القيامة: ((سبعة يظلمهم الله في ظله يوم لا ظلّ إلا ظله: إمام عادل، وشاب نشأ في عبادة الله تعالى، ورجل قلبه معلق في المساجد، ورجلان تحابّا في الله، اجتمعا عليه، وتفرّقا عليه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال، فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدّق بصدقة فأخفاها، حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه))؛ [متفق عليه].

وهل أنت من هؤلاء؟

يا صاحب القلب الرقيق، هل تحسست قلبك يوماً عند تلاوة القرآن، هل انتابك شعور ما، اعترى قلبك؟ هل تجاوبت وانسجمت مع تلك المشاعر حتى بكيت أو تباكيت؟

إذا اشتبكت دموع في خدود تبيّن من بكى ممن تباكى

فأما من بكى فيذوب شوقاً وينطق بالهوى من قد تباكى

بُشْرَاكَ إِذَا بَكَيْتَ، فَقَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْكَ: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ [مريم: 58].

وأما إذا تباكيت، كذلك بشراك؛ فقد عملت بوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم، عن سعد بن أبي وقاص، أنه قال: ((إن هذا نزل بحزن وكآبة، فإذا قرأتموه فابكوا، فإن لم تبكوا فتباكوا)).

وكيف لا يرف طَرْفُكَ، وتهفو روحك لكلمات الله؛ فليس بعد حسن حديث رب الجلالة من حُسن، وليس بعد مذاق حلاه من مذاق أحلى فيحلو، وبعد مسمعه من مسمع يجلو، وبعد أنسه من أنيس يؤنس فيرنو: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَابِي تَقْسَعُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ [الزمر: 23]؟

وهل حالك يكون كمن قال:

تفيض عيوني بالدموع السواكب وما لي لا أبكي على خير ذاهب  
على كم ذنوب كم عيوب وزلة وسينة مخشئة في العواقب  
على أنني قد أذكر الله خالقي بغير حضور لازم ومصاحب  
أصلي الصلاة الخمس والقلب جائل بأودية الأفكار من كل جانب

وإذا لم تجد في قلبك كل تلك المعاني، فابحث عن قلبك قد تكون بدونه ولا تدري: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ { [ق: 37].

ويا صاحب القلب الرقيق، هل أنت من هؤلاء؟

أمن الذين يرتاحون بالصلاة وفي الصلاة: ((أرحنا بها يا بلال))؟ أمن الذين يُسَبِّغُونَ الوضوء وينتظرون الصلاة بعد الصلاة؟ إن كنت منهم، فأثْبِرْ برفع الدرجات، وزيادة الحسنات: ((ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا، ويرفع به الدرجات: إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطى إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة؛ فذلكم الرباط))؛ [رواه مسلم].

وهل أنت ممن يخشعون في صلاتهم، ويستحضرون قلوبهم؟ إذا قد ملكت سرَّ الفلاح والتوفيق والصلاح: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ \* الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ [المؤمنون: 1، 2].

لا، لا تكتفي بهذا المفتاح عند الكريم، فهناك مفاتيح كثيرة للفلاح؛ فالكريم إذا أعطى أدهش، هذه مفاتيح ليست للفلاح فحسب، بل الفردوس ستمنحها: ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ \* وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ \* وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ \* وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ \* إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ \* فَمَنْ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ \* وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ \* وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ \* أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ \* الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [المؤمنون: 2 - 11].





**يا رقيق القلب،** هل تذوقت كلامك؟ هل خطر في بالك يوماً أن تتذوق كلامك قبل لفظه؟ ما بالك تتذوق الطعام قبل بلعه؟ أتستثني نفسك عن الآخرين؟ طعامك ستهضمه أنت، وكلامك سيهضمه الآخرون، كما تتذوق وتستسيغ ما يدخل فيك، تذوق واستسيغ ما يخرج من فيك، أه لو علمت عُسْرَ هضم بعض الكلام في الأنفس، لأشفقت على هاضمها، بعض من كلمات قد ثُوِّجَ وثُوْلِمَ، وحتى تقتل، إن من الكلام لبُلسماً يُستشغى به، وإن منه لَسقام يُطَبَّبُ منه، وشتان شتان بين من يلفظ دواءً ومن يلفظ داءً، فيا رقيق القلب تريث، رفقاً، كم من كلمة طيبة أُبْنِعتْ وأثمرت، وكنت أنت من ذاق طيبها! وكم من كلمة خبيثة جرحت فأوجعت، وكنت أنت من زرع شوكتها! يا رقيق القلب، تخيّر كلماتك، هي نتاج ما فيك، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ \* تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ \* وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ \* يَتَّبِعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ۝﴾ [إبراهيم: 25 - 27].

النهاية:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((ثلاث من كنَّ فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: من كان الله ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه، كما يكره أن يُقَذَّفَ في النار))؛ [رواه مسلم والبخاري].

حقوق النشر محفوظة © 1445 هـ / 2024 م لموقع [الألوكة](http://www.alukah.net)

آخر تحديث للشبكة بتاريخ: 11/10/1445 هـ - الساعة: 15:29